مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العددان التاسع والعاشر - المجلد الثالث - ١٤١١/١٩٩١/

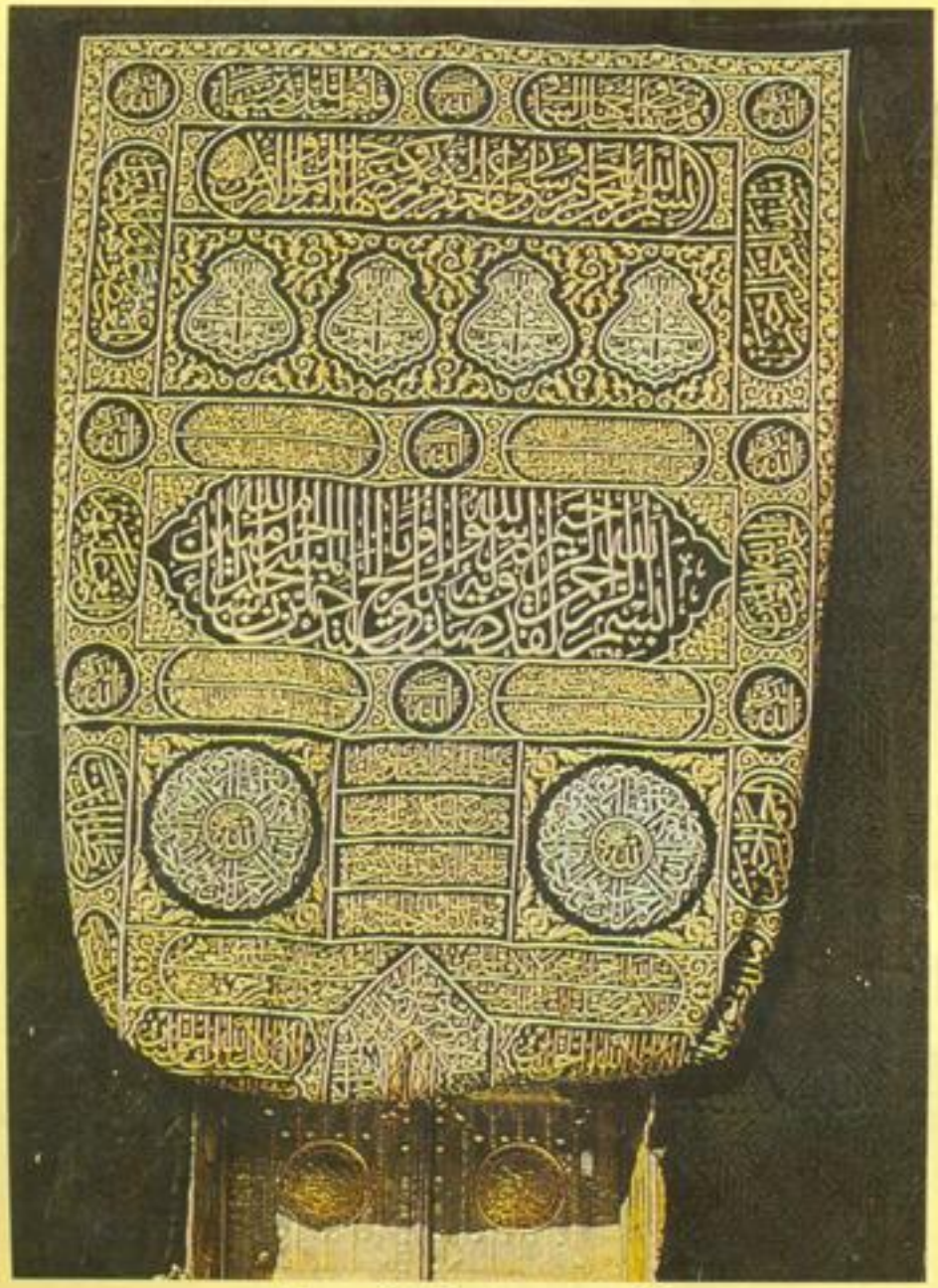

كسوة الكعبة الشريفة

خانه مطبوعات
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١٠-٩)

الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تصدر عن دار الموسم للإعلام
بيروت - لبنان ص.ب ٥١٤٤/١١٣

صاحبها ورئيس تحريرها
محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

[redacted]

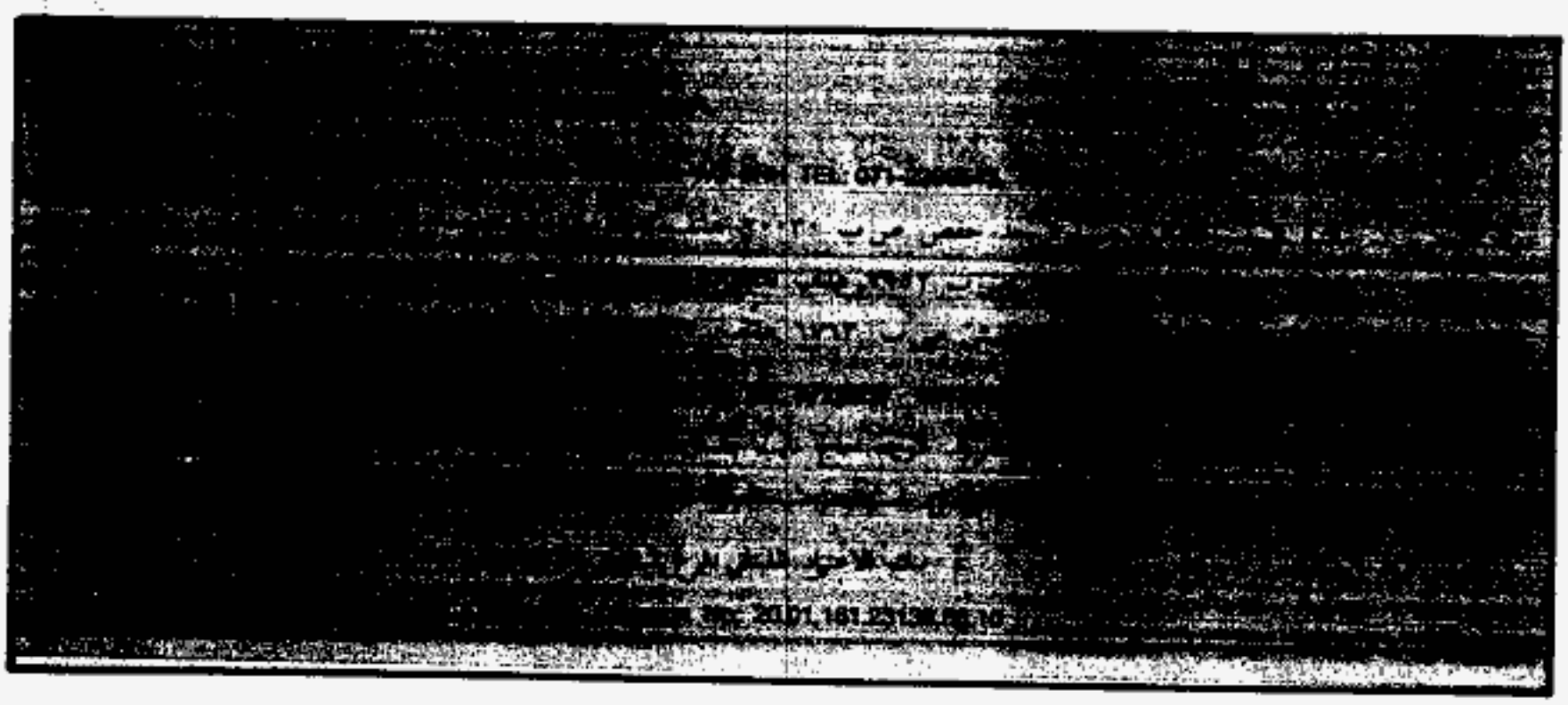

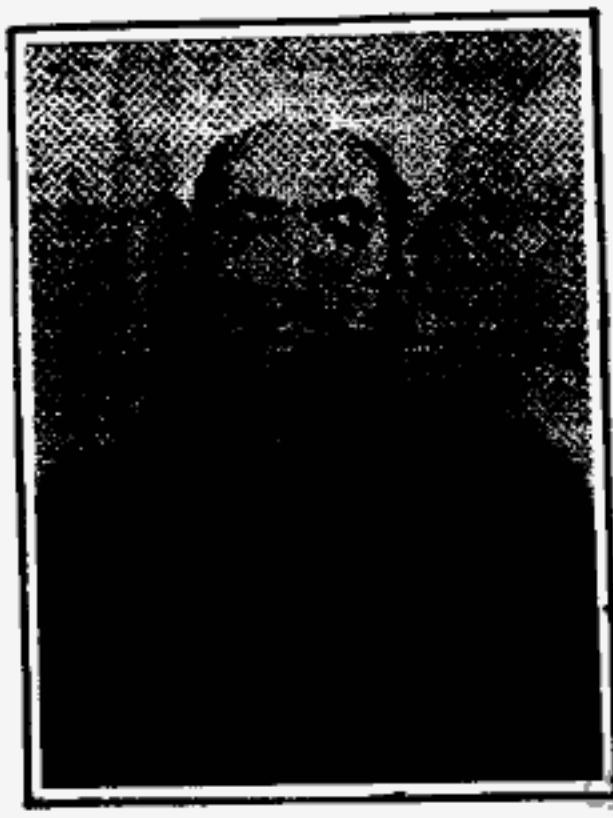

الشيخ عبد الحميد الخطى

الشيخ محمد الزهيري

١٢٩٠هـ ـ ١٣٢٩هـ

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

لا ندعي لأنفسنا القدرة «التامة» على كتابة تاريخ كامل الحلقات ، لشاعر بعثرت يد الزمن الجائر آثاره ، ولم تبق لدينا عنه ، إلا روايات ملفقات عن لسان هذا ولسان ذاك . . هي الضوء الوحيد الذي نسير فيه الى غايتنا ، ولو كان البحث والتنقيب يرجعان إلينا بفائدة لما آليناهما جهداً : إذ المصادر ـ في هذا البلد المغمور ـ مفقودة البتة ، أو بالأحرى انها لم توجد ، فنحن مرغمون على الأخذ بهذه الروايات ، والاعتماد عليها ـ مع التحفظ ـ لأنها كل ما لدينا ـ في الموضوع ـ من عدة .

وهذه الروايات ، مظنونة الصدور ، لأن الناقلين اليها أبرياء من التزيد ، وبعيدون عن الخلق ، والابداع .

هذا العنوان ، لعلنا نستطيع أن نجول في أرجائه جولة قصيرة ، وإن كانت لا ترضينا عن شاعر عاش عمراً حفيلاً ـ فيما نتصور ـ ومرت به أحداث ، ودخل معارك ، وخاض غمار خصومات عنيفة ، وتنقل من بلد الى بلد ، حتى مات بعيداً عن وطنه .

لو أتيحت لنا «المصادر» لأقمنا لهذا الوطن الضائع تاريخاً يدل عليه ، ولغنمنا خيراً كثيراً وحصلنا على عبر من أجدادنا تبصرنا في طريقنا الى هذه الحياة الصاخبة الملتوية الطرائق !

ومن الأسف القاتل ، ان جيلاً لم يمض عليه أكثر من ثلث قرن ينقطع ما بيننا وبينه هذا الانقطاع الهائل ، ويكاد يكون كإحدى الأمم البائدة أمثال : «طسم» و«جديس» !

أترانا التفتنا إلى ماضينا ، وأفقنا من سباتنا ، واستيقظ فينا الوعي ، وتلافينا هذا النقص في حياتنا ؟؟ وهل سلسلة الضياع ، والاهمال ، انتهت عند حدها ؟ إكبر الظن اننا لم نزل نتخبط

---

* نشرت في العرفان المجلد ٣٨/ج٣ (١٩٥١) (ص٢٨٢ ـ ٢٨٦) .

في ظلمات الجهل ، والغفلة ، وسيضيع حاضرنا ، كما ضاع ماضينا ! وكأن «القطيف» الذي قدر عليه الخمول ، كتب له الضياع !

نقول هذا رافعين صوتنا ، وإن كنا ـ على علم ـ أنه لا يرضى قوماً حالمين ، وهميين إلى أطراف أناملهم ـ كما يقولون ـ غير انا لا نقيم وزناً لهم ، ولا لمن لف لفهم ، وهم ـ ولا افتراء عليهم ـ الأرضة التي تنخر في جسم المجتمع ، والمبضع الجارح ، الموغل في سويداء «الوطنية» والسحب السوداء التي تحجب كواكب الصفاء ، وجرثومة المفاسد في هذا الوطن «الفقير» سلهم ـ إذا ساروا ـ عن أي شاعر ، وعالم وأديب ـ أردت ـ سواء كان يشاركهم آمالهم ، وآلامهم ، أو كان في ذمة التاريخ ، فلست بواجدٍ عندهم أكثر من : ان «فلاناً» شاعر ، أو عالم ، أو أديب لا بأس به . في أي زمن هذا الشاعر ؟ وما ميزته ؟ وما الطابع الذي ينفرد به ؟ كل هذه الاسئلة لا جواب لها عندهم وربما تجاوزوا الصمت إلى هز الرؤوس ؟ على ان هذا الجواب لا تحصل عليه إلا إذا كان الشاعر أو العالم أو الأديب ، محنطاً بالعدم المقدس ، وأما إذا كان الشاعر أو العالم أو الأديب يتنفس من هذا الهواء ، ويمشي على الغبراء فالجواب : أي شاعرية لـ «فلان» أو أي فضيلة أو أي أدب ؟! دون ما دليل . وهو عمره كله لم يقرأ لفلان بيتاً ، ولم يقف على آثر من آثار فلان ، وفلان ، في الحين الذي تراه مفتوناً بـ «الطفيليات» من شعراء غير وطنه ، معنياً بجمعها ، وحفظها ، مالئاً ذهنه من ذلك الغث ، وتراه ـ كمن أصيب بتشنج الأعصاب ـ ماداً بصره بعيداً . . . الى غير وطنه ، لا عن طموح بل عن حسد وغيرة ، ولو كفّ غمزه ولمزه عن أبناء وطنه ، لقلنا كما قال الأول : «لا عليّ ولا ليَ» ولكنه لا يفتأ يحرق الارم على «طيور الوادي» وقد أصاب كبد الحقيقة الذي هتف من أعماقه : «مغنية الحي ، لا تطرب» لا ! تسمع !

فلا بدع من بيئة تغلغل ـ في أوساطها ـ هذا الشعور «الخبيث» ان تطمس معالم العلم والأدب ، وان يضيع «الزهيري» ومن إليه من العلماء ، والشعراء . . . فماذا نعرف «نحن» عن «الخطي» وهو أشهر شاعر من هذا البلد الضائع ؟ وماذا نعرف عن الشيخ حسن التاروتي والشيخ يوسف أبي ذئب ، وابن سلطان ؟ وهؤلاء من فحول شعرائنا المدرسين .

وكثير من العلماء ، والشعراء الأفذاذ ذهبوا ضحية هذا الاهمال البغيض !

ـ ميلاده ـ

رسمت هذا «العنوان» وعلى فمي ابتسامة ، ولكنها ابتسامة المغبون . فلست أعرف عن ميلاده أكثر من الرواية القائلة : «ولد الزهيري في العقد العاشر من المائة الثالثة بعد الألف الهجري» .

استهل فجر حياة شاعرنا في قرية «الملّاحة» إحدى قرى الجنوب ، حيث خرير الأنهار ، وابتسام الأزهار ، وزغردة الأطيار ، وحيث السذاجة ، والسماء العادية ، ولعل العامل الفرد في خلقه بهذا الشعور القوي ، والحس المستوفز ، هذه المناظر المغرية ، الملهمة ، وهذه الحياة الشاعرة . ولا نعلم أوهب ـ من شعره ـ هذه الطبيعة قصائد ، تغنى فيها بمحاسن قريته ؟ أم أنسته العاصمة قريته ومناظرها ؟

الشيخ محمد بن عبد الله بن حسن بن عبد الحسين الزهيري .

وآل «زهير» أسرة عريقة في المجد ، وآثارها في قرية «سيهات» و«الملاحة» تشهد بعظمتها . قطن بعد أجداد الشاعر «سيهات» وبعضهم «الملاحة» ولهم بالملاحة حتى اليوم ضيعة يستغلها نجل شاعرنا «عبد الجليل» . . . ولم أذكر أسرة الشاعر ، لأثقله بأعباء الأسرة ، وأحيطه بسياج من الفخر العظامي ، لا ! لا أحب ذلك ، ولو لم يعد إغفال أسرة المترجم نقصاً في الترجمة ، لما أعرناه أدنى التفات ، فالشاعر غني بذاته الشخصي ، وشرفه المنبثق من ذاته هو أبقى على الزمن من أجداده ، وهو أولاً وأخيراً أعرف منهم وأشهر كفاه فضلاً أن يبقى اسمه حياً على تطاول السنين ، في هذا البلد الجامد الميت ، الذي يموت فيه الرجال أحياء ، وينسون في أول لحظة ، يلفظون فيها النفس الأخير !

ـ زهرة في الهجير ـ

توفي والد شاعرنا ، وهو طفل . فلم يذق الأبوة الرؤوم ، ولكنه لم يفقد هذا الحنان فقد سائر الأيتام ، لأن الموت لم يجن جنايته كاملة ، إذ اخترم حياة أبيه ، وأبقى له جده ، وظل الجد وإن كان أقل اغياء ، وحنان الجد ، وإن كان أضعف نبعاً ، إلا أنه يقي الزهرة الغضة زمهرير الليالي ، وحرور أيامها ، ولكنها الأيام ما زالت ولن تزال حرب العباقرة وعدوهم الألد فما غمضت عينها حتى قلصت هذا الظل الضيق ، وغيضت نبع هذا الحنان الضعيف ، فانتقلت هذه الزهرة الندية ، من برودة الظل ، إلى وهج الشمس .

لا تظن أن شاعرنا لم يسجل هاتين الحادثتين الممضتين ، في شعره فإن لم تهز شعوره هزاً عنيفاً ، فهزاً ضعيفاً ، لأنه فجع بأبيه ، وجده وهو طفل ، وكلا الأمرين على السواء في الاحتمال .

آخر عهد الشاعر بقريته «الحبيبة» يوم مات جده «حسن» وانتقل إلى العاصمة «القلعة» في معية كافله الجديد : وصي جده : «محمد بن عبد العزيز البيات» ولا نعرف شيئاً عن حياته في ظل الكافل الجديد ، أعاش راضياً أم ساخطاً ؟ أشعر بالوحشة ، والغربة أم راقته مظاهر أرقى من مظاهر قريته ؟ ألذ مسامعه هذا اللغط والضوضاء أم أنكر ذلك ؟ كل هذا طوي عنا ونشره ـ اليوم ـ يعسر علينا أشد العسر .

بادر كافله فأدخله «الكتاب» فتعلم القرآن الكريم ، والخط ، ومبادىء الحساب في أمد قصير ، وأبدى نشاطاً يلفت الأنظار .

ـ الفجر الأول ـ

كاد الزهيري يخلق شاعراً «يضم الكلمة إلى أختها في بحر من البحور الشائعة» أو خلق شاعراً . فالذي نعرف عنه أنه قرض الشعر في سن مبكرة جداً وشعره الذي وصل إلينا ـ في ذلك العهد ـ يسلكه في زمرة الشيوخ من شعراء وطنه المعاصرين له ، وإذا أخذنا على الزهيري المبالغة والجعجعة ، فاللازم علينا أن نطرح شعر تلك الحقبة ، أو تلك «الفترة» فنخسر ثروة كبرى ،

---

(١) ـ توفي سنة ١٣١٥هـ .

ونفصم حلقة الاتصال ، وميراثاً نبيلاً ، إذ الداء مشترك بين الزهيري الشاب وبين الشيخ حسن علي البدر الكهل .وإنما قرنت مترجمنا بهذا الشاعر «الحماسي» لأنهما وقفا في موقف واحد . أما الشيخ حسن الفقيه . فقد فرغنا من الكلام عنه ١٣٦٠هـ .

مات العالم المغفور له الشيخ «أحمد بن الشيخ صالح آل طعان» فتبارت الشعراء في رثائه وهزت هذه الموجة الشعرية مشاعر الزهيري وأرهفت إحساسه ـ وهو لم يملك ناصية الشعر بعد ـ وحز في نفسه ألا يرفع صوته في الحادث الاشتراكي . ففجر الطموح ، والرغبة شاعريته قسراً وطلع على ندى التأبين بهذه القصيدة التي لا نشك أن مطلعها فقد :

قسما بمن نحر الزمان له عيد الانام وضمه القبر

وأكبر الظن أنها نالت استحساناً ، وإعجاباً من الأدباء ، حفزا الشاعر على المضي في سبيله وشاعرنا وإن لم يوفق في هذه القصيدة في نظرنا ـ اليوم ـ والكلمات تضع نفسها حيث تريد وليس للشاعر عليها سلطان ، وما له في ذلك يدان إلا أنها ارهاص بشاعرية قوية ، وخيال خصب وقريحة طيعة .

والعالم في نظر شاعرنا «ملك يبكي عليه البر والبحر والملائكة الجن والانس والوحش والسبع الشداد ، وكل شيء بكى لأجله» ويطيل الشاعر في هذه «الرسميّات» ويسرف في المدح حتى الغلو . وأخيراً ـ بعد الشطح والنطح ـ يهتف بوطنه من قلب جريح متلاشي الأمل يا «خط» ! حدي والبسي حزنا ثوباً ، ينفض ذيله الحشر !!

والحق ان البيت على سذاجة لا يخلو من طرافة ، في تصوير اليأس «المتمدد» في نفوس الشعراء المتشائمين !

هذا ما قاله الشاعر اللدن في هذا الموقف ، وماذا قال الشاعر الشيخ حسن علي البدر في موقف الزهيري ؟ هل أتى بشيء غير مقدر ومحدد قبل أن ينظمه ؟ لنصغ اليه :

طرقتك يا أم العلوم فقهاء تذهب بالحلوم !
وأدتك في الظهر الكواكب فاقعدي جزعا وقومي

وكان من تأثير فقد المرثي ـ في الكون في هذا الشعر ـ أن نسفت الرياح العقيمة الجبال الرواسي وكسفت الشمس الى آخر السلسلة ، وكل من رثى مطلقاً يقول هذا الشعر ، وينهج هذا النهج ، سواء كان الشاعر شيخاً أو شاباً ، وربما بزّ الشاب الشيخ كما رأينا كيف بز الزهيري البدوي ، باختياره القافية الناعمة وتصوير اليأس .

ومن العسير أن تعرف حياة المرثي ، أو صنعة له في هذا الشعر ، ولو عمدنا الى هذا الشعر ، وغربلناه لسقط كله من الغربال ، وأنه كله زؤان ، وإنما نحتفي به ونحتفظ كذكرى لآبائنا الأنجاب وسلوة عن العدم المطلق .

القطيف

عبد الحميد الخطي